حوليات جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله

المجلد 03 – العدد 02 – جمادى الآخرة 1445هـ/ ديسمبر 2023م

ISSN-2773- 3858

EISSN -2992-0973

موقف الجرامنت من السياسة الرومانية ما بين القرن الأول والثالث الميلادي

The position of the Gramantes on roman politics between the first and third centuries AD

أد. مقدم بنت النبي

قسم التاريخ- جامعة الجزائر2

Bentnebi.mokaddem@univ-alger2.dz

تاريخ الارسال:2023/07/18	تاريخ القبول:2023/10/18	تاريخ النشر :2023-12-31

الملخص:

تعددت أساليب السياسة الرومانية وتنوعت بغية ضرب النظام القبلي، بعد سيطرتها على شمال افريقيا، وقد اتخذت عدة اجراءات اقتصادية، عسكرية وحتى سياسية لتضييق الخناق على القبائل والسيطرة عليها؛ غير أن أغلب القبائل وفي مقدمتها الجرامنت اتخذت موقفاً من هذه السياسة، والجرامنت واحدة من أكبر وأقوى القبائل القاطنة بمنطقة الفزان،

فأين تتموقع هذه القبيلة بالتحديد؟ وبماذا يمكن للمصادر الاغريقية واللاتينية أن تخبرنا عنها؟ وما هي مناطق انتشارها؟ وما مدى تأثيرها بمجريات الأحداث التاريخية في العهد الامبراطوري الأعلى، وما هو موقفها من سياسة السلطة الرومانية؟

الكلمات المفتاحية: الجرامنت، القبيلة، الرومانية، افريقيا البروقنصلية، موريطانيا القيصرية

Abstract :

The new political geography has been numerous and diverse with regard to the tribal system, after its presence in North Africa, and can include several economic, dynamic, even political policies, to reduce its differences; However, it does not belong to the different provinces, the first of which is the Garamantes, who deviate greatly from these policies, and the Garamantes are one of the largest tribes inhabiting Fezzan.

Where exactly is this tribe located? What can Greek and Latin sources teach us? What are its propagation areas? To what extent did it influence the course of historical events of the high imperial era and what was its position on the policy of Roman authority?

Keywords: Garamantes, Tribe, Roman politics, proconsular Africa, Mauretania Caesarea

مقدمة:

ازدادت رغبة السلطات الرومانية مع منتصف القرن الثاني وبداية الثالث الميلادي في الاستيلاء على الأراضي بشمال افريقيا، مما دفع بالاحتلال الاتجاه جنوباً للسيطرة على أراضي القبائل ومراعي الرحل، وعلى منابع المياه والواحات، وتخوفاً من رجوع القبائل لاسترجاع أراضيها والهجوم على المستوطنات والمراكز العمرانية، التي بنيت بأراضيهم لجأت السلطات الرومانية الى تعزيز مؤسستها العسكرية وتحصين الأراضي المغتصبة، لتمنع القبائل من تخطي الحدود التي رسمتها، بعد مسح وكنترة تلك الأراضي وتوزيعها على المستوطنين الرومان؛ كما قامت بشق الطرق وبناء الأبراج والقلاع عند مصبات الأودية ومختلف منابع المياه، لمراقبة أنصاف الرحل الذين

يعبرون الطرق المحاذية للينابيع والأودية، حين ينتقلون بين اقليم طرابلس وموريطانيا القيصرية عبر الجريد والزاب والأغواط.

كما لجأت أحيانا لتوطين بعض القبائل، بافريقيا البروقنصلية وبموريطانيا القيصرية، وفي أحيان أخرى نجدها تتحالف مع البعض، مثل قبيلة البقواط بموريطانيا الطنجية لتضمن لها الهدوء والاستقرار بالمقاطعة، أو توظف الجنود والعسكريين بجيشها مثل الجيتول وغيرها من بعض القبائل الي كان لديها فرق باسمها في الجيش الروماني؛ ويبدو أن السلطات الرومانية كانت تتعامل مع كل قبيلة بحسب طبيعتها وقوة بأسها، ففي حين عينت على رأس بعض القبائل التي تمكنت من اخضاعها، حاكما من أصل روماني " Praefectus gentis"، سمحت لأخرى الاحتفاظ بحرية تسيير شؤونها وفق عاداتها وتقاليدها بإشراف شيخ قبيلة تعينه السلطات الرومانية وتمنحه لقب أمير القبيلة" Princepes gentis".

وبمثل ما اتخذت اجراءات عسكرية واقتصادية وحتى ادارية، اتخذت أيضاً اجراءات سياسية، لهز التشكيلة القبلية ومحاولة التأثير على النمط المعيشي للقبائل، والقضاء على قوة الكبيرة منها بتجزئتها لفروع صغيرة، ومن المؤسف سكوت المصادر وحتى المراجع التاريخية عن الطرق المتخذة في تقسيم هذه القبائل، وكيفية حدوث التجزئة، كما عملت على زرع القلاقل بينها لضرب بعضها البعض وبث الفرقة بينها، لضمان عدم تحالفها أو مساندة المتمردة منها، ويكشف لنا تنوع الأساليب والاجراءات المتخذة ضد القبائل، عن تطور السياسة الرومانية عبر مختلف المراحل التاريخية، وتدرجها من استعمال القوة الى استخدام الديبلوماسية السياسية مع رؤساء القبائل لضمان استقرارها واستمرارية مصالحها الاقتصادية بالمنطقة.

تولد عن هذه السياسة رد فعل عنيف وانفجار القبائل الذي تجسد في سلسلة تمردات واضطرابات وحتى ثورات، عانت منها السلطة الرومانية، كما يبدو

من خلال ما ذكر بالمصادر الأدبية والنقوش، حيث نستنتج أن القبائل الأكثر ذكراً هي تلك التي اشتهرت بقوتها وهددت تواجد الكيان الروماني، كالجيتول الذين كانوا مصدر قلق دائم، ولذا عمل الرومان على استمالتهم وتشجيعهم بالانخراط في الجيش، والمزالمة التي تعد أكثر القبائل عنادا وتهديدا للمصالح الرومانية، ورغم تعسف السلطات الرومانية واغتصاب أراضيها وانزال أقصى العقوبات بها ومحاولة رومنة رجالها الا انها استمرت في المقاومة؛ يضاف اليها قبيلة الباوار التي ورد ذكرها بحوالي خمسة عشر نقيشة لاتينية، عثر عليها في مواقع مختلفة بكل من نوميديا، موريطانيا القيصرية وموريطانيا الطنجية، دون أن ننسى قبيلة الغرامنت التي اشتهرت بكثرة عتادها الحربي وقوة وبأس رجالها، والتي عملت طيلة فترة التواجد الروماني بشمال افريقيا على مواجهة النظام والسياسة الرومانية والتصدي لها، غير أنه يتوجب علينا قبل التعرض لرد فعلها ومشاركاتها الفعالة للتخلص من الهيمنة الرومانية، التعرف عليها وعلى موطن تمركزها، وعلاقاتها بالقبائل ومحاولاتها التكتل والتحالف مع جيرانها ممن انتفضوا ضد الرومان.

1 – موقع القبيلة وأماكن انتشارها من خلال المصادر الاغريقية واللاتينية: ورد ذكر الغرامنت "Garamantes" في العديد من المصادر، وعلى رأسها هيرودوت [1] في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث أشار الى أن القبيلة تعيش بمنطقة تبعد بعشرة أيام عن أوجيلا، وأقرب منطقة للساحل بالنسبة إليهم، هي المنطقة التي تقطنها قبيلة اللوتوفاج "Lotophages" تبعد عنهم مدة ثلاثين يوماً؛ في حين يجعلها بلين القديم [2] تبعد عن أوجيلة باثني عشر يوماً. أما بطليموس فيعتبرها شعباً يقطن داخل ليبيا،

[1] - Hérodote, **Histoires, Livre IV**, trad., PH. E. Le grand, éd., Les belles Lettres, Paris, 1949, p. 183.

[2] - Pline l'Ancien, **Histoire Naturelle**, Collection des auteurs latins, éd., et trad., M.E. Littré. Paris, éd., Dubochet et Le Chevalier 1848, V ? p. 26

بين منابع المجردة (Bagrades) وبحيرة النوبة (Nusap) [3]، وكلاهما يتفقان [4] بشأن عاصمة الغرامنت جرمة، كما تحدثا عن الطريق الذي يقود إليها انطلاقاً من جيكتيس (Gigthis) قرب مدنين على الضفة الغربية لخليج بوغارة، وصولاً الى لبدة (Leptis Magna) فغدامس (Cidamus) ثم واحة الفزان (Edéri) فجرمة مروراً بحمادة الحمرة (Ater)، ومن اهم مراكزهم الحضرية مدينة زويلة (Zella) [5] جنوب شرق واحة الجفرة، والتي كانت ضمن خط سير القوافل، وظلت من أهم المناطق التجارية بعد الفتح الاسلامي وخاصة تجارة الرقيق .

في حين يرى سترابون [6] أنهم كانوا يتمركزون جنوب الجيتول، ويبعدون عن الأثيوبيين بسبعة أو عشرة أيام، وعن الفاروزيين والنغريت قرب واحة آمون بخمسة عشر يوماً؛ ويعتقد تيتليفيوس [7] أنهم كانوا يقطنون بعيداً عن السيرت الصغرى، أما الجغرافي بومبونيوس الميلي [8] فيكرر ما ورد لدى هيرودوت عن موطن هذه القبيلة.

ويمكن اعتبار لوحة بوتينغر [9] في عهد السفيريين، من بين أكثر المصادر دقة والتي حاولت أشارت لموقع الغرامنت، مع ضبط وذكر ما يحدها من الجهات الأربع،

---

[3] - Ptolémée, **Géographie**, trad., M. l'abbé Halma, Paris, 1824, IV, pp. 5, 6

[4] - Pline l'Ancien, op. cit. V,38 ; V,36 ; Ptolémée, op. cit I,10,2 ; IV,6,12

[5] - Hérodote, op. cit., p 148; Gsell (S), **Hérodote, textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du nord** , éd., Typographie Adolphe Jourdan , Alger,1915

[6] - Strabon, **Géographie**, texte établi et traduit par A. Tardien, 2ème édition, Paris, éd., Hachette, 1886, II, 5, 23 ; XVII, 3, 7

[7] - Tite-Live, **Histoire romaine**, texte établi et traduit par E. Lassère, éd., Garnier, Paris, 1928, XXIX.

[8] - Pomponius Méla, **Géographie in Œuvres complètes**, trad., sous la direction de M. Nisard, éd., J.Dubochet , Le Chevalier et Cle , Paris, 1850, 1, 23 ; 1, 45.

[9] - Désanges (J), **Catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil**, Publications de la section d'histoire n°4, Dakar, 1962, p. 94

حيث يحدها غرباً وادي كعام (Cinyps)، شمالاً بحيرة، شرقاً جبل السودا حيث ينبع وادي بي (Flumen Be)، جنوباً جبل فزان؟ (Gir) [10] ومع نهاية القرن الأول نجد الشاعر سيليوس ايتاليكوس يعتبرهم جيران الأسبيتاس [11] الذين يقطنون جنوب قورينى [12].

تكثر الإشارة للغرامنت بعد القرن الثالث الميلادي في المصادر الأدبية، غير أن المعلومات عنهم مختلفة وأحياناً مبهمة وتحتاج للكثير من الدراسة والتمحيص، والتساؤل عن الخلط الذي وقع فيه بعضهم، فهذا أميانوس ماركولينوس [13] يجعل الغرامنت وشعوباً أخرى والسيرت الكبرى وسط مصر، أما يوليوس هونوريوس [14] في نهاية عهد الامبراطورية الرومانية فأشار الى أنهم يقطنون بين النزامون والتيريوداس" ، في حين اعتبر أوروز [15] امتداد القبيلة الجغرافي غامض؛ وذكرهم أبوليناروس سيدونيوس"Caius Sollius Apollinaris Sidonius " في القرن الخامس ومن بعده كوريبوس[16] في القرن السادس على أنهم عملوا ضمن الفرق المساعدة لجنسريك،

[10] - نشير فقط الى أن موقع جبل جير لازال يثير الجدل ولم يفصل فيه، يعتبر طرح ودراسة لوفرون على أنه جبل فزان أكثر اقناعاً

Lefranc(J-PH), "La Géologie, Pline l'Ancien et l'itinéraire de Cornelius Balbus (20 av. J.-C.) Nouvelles identifications", Histoire et Archéologie de l'Afrique du Nord, IIIe congr. intern., CTHS Montpellier, 1985, (Paris, 1986) p. 303-316 ; « Giri », in Gabriel Camps (dir.), 20 | Gauda – Girrei, Aix-en-Provence, Edisud (« Volumes », no 20), 1998[En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 02 février 2017. URL : http://encyclopedieberbere.revues.org/1933

[11] - Silius Italicus, **Guerres Puniques**, Texte établi et traduit par M. Kermoysan, Paris, éd., Dubochet et Compagnie, 1837, II, p. 58.

[12] - Désanges (J), op.cit, p 148

[13] - Ammien Marcellin, Histoire, Texte établi par Savalète (TH), Paris, 1849, XXII, 15, 2.

[14] - Iulius Honorius, B47 P 53 et A48 Désanges (J), op. cit, p. 96

[15] - Orose, Adv Paganus, I, 2, 88

[16] - Sidoine Apollinaire, Carm, V336 ; Corippus, Joh , VI,198

ويذهب جغرافي رافينا ([17]) خلال القرن السابع الميلادي نفس اتجاه سترابون، ويذكر أبيس" Abysse" على أنها اثيوبيا الغرامنتيين.

أما ببعض المصادر المادية فقد ورد ذكر الغرامنت وعاصمتهم جرمة بالنقوش([18])، واعتبرت فسيفساء زليتن([19]) التي عثر عليها بفيلا دار بوك عميرة، واحدة من المخلفات التي تشير للغرامنت، والتي حاول بعض الباحثين التركيز عليها واتخاذها كدليل لمعرفة لون بشرة الغرامنتيين، باعتبار أن المحكوم عليهم والذين تم رميهم للحيوانات المفترسة من الغرامنت كما يبدو من حواف الفسيفساء الخاصة بالفصول الأربعة والتي تعرف أيضاً بلوحة المصارعين ([20])، كما أنها كذلك توضح وحشية الأحكام المسلطة على أسرى القبائل عموماً؛ ورغم ان الحفريات الأركيولوجية ونتائج الدراسات الأنثروبولوجية ([21]) أضافت الكثير للدراسات التي تبحث في تاريخ مملكة الغرامنت، إلا أنها لا تزال تحتاج للكثير من البحث وبذل الجهد سواء فيما يتعلق بالتحقيب، أو بنمط معيشتهم كقبيلة أم ككنفدرالية أم كمملكة؟ أوفي كيفية سير علاقاتهم وتعاملاتهم، وحتى نظام تداول الحكم الملكي وكيفية تسيير شؤون

[17] - Géographe de Ravenne, III, 3 d'après Désanges (J), op. cit, p94

[18] - CIL, VIII, 3308; 20453

[19] - هناك اختلافات حول تأريخ هذه الفسيفساء ففي حين يرجعها الايطالي سلفاتور أوريغما " Salvatore Aurigemma " الى الفترة الفلافية خلال القرن الأول الميلادي، نجد فيل " G. Ville" يعتبرها ترجع لنهاية الأول قبل الميلاد وبداية الثاني الميلادي، غير أن بعض المؤرخين يأخذون برأي دافيد باريش" David Parrish" الذي أرخها بالقرن الثاني الميلادي، حاليا موجودة بمتحف السراي الحمراء بطرابلس.

Ville (G), Essai de datation de la mosaïque des gladiateurs de Zliten », in La Mosaïque Gréco-Romaine, Paris, 1965 ; Parrish(D), The date of the mosaics from Zliten, Ant.Afr,1985, 21, pp137-158

[20] - مصطفى علي محمد نامو، دراسة أثرية لفسيفساء أرضيات بعض الدارات في منطقة المدن الثلاث، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009، ص 333

[21] - Mattingly (D), Nouveaux aperçus sur les Garamantes : un état saharien ? Ant.Afr,37, 2001, p 52

المملكة بعد اتساع رقعتها الجغرافية، وفترات الحكم وغيرها من المسائل والقضايا التي لا تزال غامضة وبحاجة للإجابة عنها بدقة.

2 – علاقتها بالقبائل والمناطق المجاورة لها: من بين القبائل الأخرى المقيمة بالفزان كما يبدو بخريطة افريقية البروقنصلية واقليم المزاق في القرن الأول الميلادي، قبيلة الأمانتس" Amentes" التي يعتقد أنها فرع من فروع الغرامنت ([22])، وكانوا يعيشون على الحدود الغربية للبدة (Liptis Magna) بالسبخة الواقعة بالجرفة الغربية ([23])، ويبعدون عن السيرت الكبرى بما يقارب الاثني عشر يوماً؛ أما الفزانيين " Phazanii" فيقطنون شمال السيرت الصغرى حسب بلين القديم ([24])، ومن أهم مدنهم غدامس(Cidamus)، تليباري(Cilliba)، تلالاتي (Alele)، ويفصل بينهم وبين بلاد الغرامنت حمادة الحمرة(Ater) ([25]).

في حين نجد التروغلوديتاس" Troglodytes" المعروفين بخفة تحركاتهم، وبأنهم يتغذون على الثعابين، العظايات وزواحف أخرى وأن لغتهم شبيهة بلغة الخفافيش فيعتقد أنهم أثيوبيين وهم الذين كان الغرامنت يطاردونهم بعرباتهم ذات الأربع احصنة، ويسكنون جنوب شرق الفزان ([26])؛ كما تقطن منطقة الفزان قبائل أخرى من البدو كالدلوباس" Dolopes"، ويعيش جنوبهم الإربيدايي" Erebidae" فرع من فروع اللوتوفاج، والإروبايي" Eropaei" الذين يقطنون مابين السيرت الصغرى وبلاد

[22] - Trousset (P), **Recherches sur le Limes tripolitanus du chott El-Djerid à la frontière Tuniso-Libyenne**, Paris, CNRS, p22

[23] - Pline, H.N, V, 34

[24] - Pline, op . cit. V , 35

[25] - Trousset (P), op.cit , p 22 ; Desanges (J), **Catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil**, Publications de la section d'histoire n°4, Dakar, 1962 , p 130-131

[26] - Hérodote, IV, 183 ; Gsell (S), Hérodote, p153-154 ; Chepelle (J), Nomades noirs du Sahara, Paris,1959, p33-37 ; Desanges (J), op.cit, p 139-140

الغرامنت ويمتهنون الصيد ([27])، وما يتضح من خلال المصادر أن أغلب تلك القبائل التي ذكرت بها هي أقليات صغيرة متناثرة هنا وهناك، بدءا بالجنوب التونسي ومنطقة الأمبوريا والى منطقة الفزان واقليم طرابلس.

ويلاحظ أن المصادر عموما، والشعراء خصوصاً كانوا يركزون على ذكر الغرائب التي تسترعي انتباه مستمعيهم ([28])، ولذلك كانوا يحبون ذكر شعوب ليبيا بكل ما يثير التعجب ويجلب الانتباه ويثير الاستغراب، ومن أكثر ما اشتهر به الغرامنت، والذي أسال حبر الكثير من المؤرخين المحدثين، زمرد الغرامنت ([29])، الذي هو عبارة عن نوع من الكريستال الشبيه بالزجاج الذي يميل أحياناً للأخضر والذي يحتمل ان يكون نفسه زجاج الصحراء الليبية الذي كان يستخدم قديماً للزينة والمنتشر بكثرة في منطقة الغرامنت، ومن أشهر الحلي القديمة التي زينت بقطعة زجاج جميلة من الصحراء الليبية قلادة توت غنخ آمون.

ولا يستبعد أن هناك خلطاً، ليس في النطق وكتابة اسم القبيلة من طرف الاغريق واللاتين بل وحتى في تحديد مواقع انتشارها بدقة؛ ثم دعنا لا ننسى ظاهرة أخرى تعودتها قبائل شمال افريقيا من الرحل وأشباه الرحل، ولازالت موجودة لغاية يومنا هذا، وهي خروج بعض أفراد القبيلة فقط للرعي والترحال وللبحث عن الماء والكلأ، بينما يبقى البقية بمدينتهم وبمراكزهم العمرانية حيث يمارسون الزراعة والتجارة وهو نفس حال الغرامنت آنذاك، والذين لا يستبعد عنهم أيضاً أنهم عملوا لصالح الرومان على حماية المناطق البعيدة والممتدة جنوب أراضيهم كبلاد أجيسيمبا" "Agisymba ([30]) .

---

[27] - Desanges (J), op. cit, p 88-89

[28] - Ripoll (F), L'Image de l'Afrique chez Lucain et Silius Italicus, in Vita Latina , n°159 , 2000 , pp 2-17

[29] - Monod (Th), Le mythe de « l'émeraude des Garamantes » , Ant. .Afr, 8,1974, p p 51- 66

[30]- Ptolémée, I, 8, 4 ; IV, 8, 2 ; Désanges (J), op.cit, p ,95

حيث يوجد وحيد القرن، ولا يستبعد انها قرب بحيرة التشاد، أين كانوا يحصلون على السلع التي يتاجرون بها، كالعبيد والحيوانات والملح والعقيق الأحمر، العاج والنطرون الذي كان يستخدم في صناعة الزجاج، وغيرها مما تاجروا به.

وعموماً فجرمة تعد مدينة هامة، ومركزاً تجارياً يتوسط الطرق التجارية وطرق القوافل، سواء باتجاه الساحل والشمال، أو باتجاه الجنوب، كما يتوسط الطريق الرابط بين مصر والمحيط الأطلسي، ولعل هذا ما ساعد على ازدهار تجارة الغرامنت وتحكمهم بتجارة القوافل، ولو لم تكن كذلك لما أنشؤوا الحصون لتأمين القوافل والمسافرين ([31])، حيث أنهم خلال فترة الازدهار ([32]) ومع قوة حكمهم وتحكم نظامهم تمكنوا من التحكم فيما يقارب 300000 كم²؛ وعلاقاتهم التجارية بالمدن الساحلية ليست وليدة العهد الروماني فقط، بل أنها تمتد لما قبل ذلك، فالرومان ورثوا لبدة وطرابلس وسبراطة ومنطقة الأمبوريا عموماً عن القرطاجيين، مما يشير الى وجود علاقات تجارية بينهم وبين القرطاجيين، الذين منعوا الاغريق من التدخل والتوغل في أراضي الفزان وباتجاه الصحراء الكبرى، وفضلوا ابقاء علاقاتهم التجارية مع الغرامنت، ولعل القرطاجيين لم يحاولوا التوغل في الفزان والمنطقة الجنوبية، بسبب اهتمامهم بالملاحة أكثر، وبالتجارة البحرية، إضافة لعلاقاتهم السلمية مع الغرامنت والاتكال عليهم لإحضار السلع ومختلف المنتوجات التجارية من تلك المناطق البعيدة عن قرطاجة.

3 – موقفها من السياسة الرومانية : تميزت علاقة الغرامنت بالسلطات الرومانية بالتأرجح مابين التحالف تارة وتحديها تارة أخرى والثورة عليها، بحسب ما تقتضيه

[31]- محمد سليمان أيوب، جرمة، من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي، طرابلس، 1969، ص 136 ، 205

[32] - Mattingly(D), op. cit , p 52

[32] - Ptolémée, I,11,4

مصالح القبيلة، التي تريد بدورها الهيمنة على منطقتها والمناطق المجاورة لها، ويمكننا القول أن أولى ثورات القرن الأول الميلادي ضد الرومان ، هي ثورة الغرامنت سنة 2م، بسبب اعتيادها التنقل بين اقليم طرابلس وجنوب موريطانيا، ومحاولة السلطات الرومانية الحد من هذه التنقلات، غير أنها أخمدت على يد القائد باسينوس روفوس" L.Passienus Rufus" ([33])، وفي هذا السياق يعتقد جهان ديزانج" Jehan Désange" ([34]) أن الغرامنت هزموا على يد سولبيكيوس كيرينيوس" Sulpicius Quirinius " سنة 2 م، وليس باسينوس روفوس، لأن هذا الأخير حصل شرف النصر سنة 3م إثر إخماده للاضطرابات التي شهدتها مدينة زنفور(Assuras).

كما يعتقد أن الغرامنت تحالفوا مع قبائل المارماريد المنتشرة بقورينة في ثورتها ضد الاحتلال الروماني، هذه الثورة ([35]) التي اندلعت سنة 4 ق.م ولم يقض عليها الا سنة 2 م، ونشير الى عدم وجود أدلة تاريخية حول ما إذا كانت هذه الثورة مخطط لها منذ البداية بتحالف القبيلتين معاً، أم أن الثورتين اندلعتا في ن واحد وحدث التحالف بعد ذلك بحكم ما تتطلبه الظروف، وكل ما هو مؤكد هو أن السلطات الرومانية اضطرت للاستعانة بالفرق المصرية للقضاء عليها.

ويبدو أن الغرامنت كانت تستغل فترات الاضطرابات في أي منطقة تابعة للسلطات الرومانية، لتساهم بدورها بما يساعد على الوقوف في وجهها، حيث نجدها مرة أخرى تقدم الدعم والامدادات لتاكفاريناس " Tacfarinas"* سنة 23 م بعد

[33]- Florus, II, 31 d'après Le Bohec (Y), **La Troisième Légion Auguste**, Paris, CNRS,1989, p339

[34] - Désanges (J), **Le Triomphe de Cornelius Balbus (9 av. j-c)**, R. Afr, CI, 1957, pp 5-44

[35] - Benabou (M), op. cit, p 58-59n° 56; Le Bohec (Y), op. cit, p339

*- هو قائد ثورة تاكفاريناس التي دامت سبع سنوات من سنة 17 م الى 24 م، والتي اتحد حين القيام بها قبيلة المزالمة مع الموريين في الغرب بقيادة مازبا والكنيتيين في الشرق من السيرت والغرامنت ، حول هذه الثورة يمكن الرجوع الى:

أن استدعيت كتيبة اسبانيا التاسعة للعودة الى أراضيها، وبفضل هذه المساعدة تمكن من محاصرة مدينة تبوسكوم (Thubuscum) التي لا يستبعد أن تكون نفسها تيكلات (Thubusuctu) ([36])، الا ان كورنيليوس دولابيلا "P.Cornelius Dolabella" ([37]) استطاع فك الحصار عنها، ولاحق الثوار وقائدهم الى أوزيا(Auzea).

هذا وسجل الرومان انتصاراً آخر على الغرامنت سنة 70 م، حيث شن عليهم الليغاتوس فاليريوس فيستوس " Valerius Festus" حملة، نتج عنها تحرير مدينة لبدة التي اقتحمها الغرامنت، وكإجراء وقائي وخوفاً من مثل هذا التعدي على المدن والهجوم المفاجيء عليها، انتقل جزء من كتيبة أوغسطس الثالثة سنة 71 م، واستقر بتازولت (Lambaeses) ([38]) حتى يتمكن من المراقبة عن كثب الطرق الاستراتيجية خوفاً من اختراقها وتنقل الرحل بها.

ويحتمل أن يكون الغرامنت ساندوا النزامون، حين ثاروا سنة 86 م، بسبب كثرة الضرائب خلال هذه الفترة، وقاموا بقتل مبعوثي روما ، القادمين لجمع الضرائب، مما اضطر الليغاتوس سويليوس فلاكوس " Gnaeus Suellius Flaccus" لقيادة حملة ضدهم انتهت بقتل الكثير منهم، وفرار من تبقى نحو الجنوب؛ خاصة وأننا نعلم أن هذه الضرائب بدأت روما فرضها مع حملة سولبيكيوس كيرنيوس " Publius Sulpicius Quirinus" على النزامون، الغرامنت والمارماريد في عهد أوكتافيوس

Tacite, Annales, III,32 ; Le Bohec(Y),op.cit ,p 343 ; Benabou(M),op.cit,p438 ; Rachet(M),pp 84-90 ; Gonzales(A),La révolte comme acte de brigandage.Tacite et la révolte de Tacfarinas,L'Africa Romana,XII(Olbia,12-15 décebre),Sardegna,1998, 937 - 958

[36] - Cagnat (R), **L'Armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs**,I, Paris,1912, p 20-21

[37] - Tacite, **Annales,** IV, 23-25

[38] - Tacite, Histoire, IV, 50 ; Benabou (M), op.cit , p 102 ;109 ; Leschi(L), **Inscriptions latines de Lambèse et de Zana**, Libyca , 1953, I, p 189

أوغسطس ([39]) سنة 15 ق.م ؛ وبما أن النزامون تضررت من كثرتها فلا يستبعد أن الغرامنت أيضاً مع غيرها من القبائل التي فرضت عليها ترفض دفعها، خاصة وان المرسل للقضاء على هذه الثورة سنة 86 م برتبة ليغاتوس مما يشير الى خطورة الثورة ويحتمل اتساع رقعتها ولذلك خولت له صلاحيات عسكرية واسعة للتصرف بما يتوجب لإخماد الثورة، إضافة الى أنه قام عقب القضاء على ثورتهم بتحديد أراضي بعض القبائل السيرتية سنة 87 م، والاتجاه مباشرة نحو منطقة الفزان، لكن لا نعرف ان كان بغرض مواصلة حملته التأديبية، أم لأغراض تجارية وبحكم العلاقات التي تارة تفرض نفسها بين الطرفين والناتجة عن المصالح المشتركة.

بعد حملة سويليوس فلاكوس، تأتي حملة يوليوس ماترنوس" Julius Maternus" ([40]) الذي انطلق مع ملك الغرامنت نحو الجنوب باتجاه اثيوبيا، ووصلوا لبلاد أجيسمبا، والتي دامت أربعة أشهر وأربعة عشر يوماً حسب بطليموس ([41])، غير ان هذه الحملة ليست عسكرية، إنما يبدو أنها لغرض تجاري ولا يستبعد أن تكون بغرض الحصول على العبيد والحيوانات للسيرك ومختلف الاستعمالات الأخرى؛ ومثل هذه الحملات تشير للعلاقات التجارية القائمة بين الطرفين في فترات السلام بينهما خاصة مع نهاية القرن الأول وخلال الثاني الميلادي.

ويشير دافيد جون ما تينغلي " *David* John *Mattingly* " ([42]) إلى أن القرن الثاني الميلادي شهد هدوًا ملموساً، والدليل على عدم وجود ثورات انعدام الحملات العسكرية، غير أننا نرى أن ذلك ليس بدليل كاف على الهدوء التام في المنطقة.

[39] - Benabou (M), op.cit , p 104-105 ; Mattingly (D .J),**Tripolitania,** éd.,Routledge,2003,p 118

[40] - Mattingly(D .J), loc .cit ; Id, **Nouveaux aperçus sur les Garamantes** .,p 51

[41] - Ptolémée, I,11, 4

[42] - Mattingly (D .J), Tripolitania , p 119

خاصة إذا ماركزنا على التحصينات العسكرية التي قامت بإنشائها السلطات الرومانية، مع تقدم الليمس نحو الجنوب بدءا من القرن الثاني الميلادي، وتتبعنا خطوات السياسة العسكرية وعمليات شق الطرق في قلب مناطق التنقلات القبلية.

ومهما يكن، فان إنشاء حصن بونجم (Golas)، حصن تالمين (Ad Tamalleni)، قلعة زويلة (Zella) وغيرها من القلاع الأخرى القريبة من منطقة الفزان، التي لم تبن الا لمراقبة القبائل القادمة من الفزان باتجاه قابس(Tacapae) والجم (Thysdrus)، والتي تعودت الاتجاه بعدها بمحاذاة المناطق الساحلية بالتل الشمالي كالغرامنت والفزانيين ([43])، وبهذا تسيطر على مناطق تحركاتهم والطرق التي يسلكونها، وفي نفس الوقت تضيق الخناق على القبائل القاطنة داخل حدود الليمس كقبيلة النبيجني على سبيل المثال لا الحصر، وسد المنافذ أمام أي تحالف بين القبائل، يحتمل حدوثه خاصة مع كثرة الاضطرابات والثورات وحتى الهجوم على بعض المدن في الموريطانيتين خلال القرن الثاني الميلادي، ولعل هذا يعد أيضاً من بين الأسباب الذي جعل السلطات الرومانية، تتجنب في هذه الفترة معاداة الغرامنت والقبائل القاطنة بالقرب منها، حتى لا تشتت فرقها العسكرية وتفتح على نفسها عدة جبهات، ويعرف عن السلطات الرومانية أنها في حال كثرة الثورات في المقاطعات، كانت تلجأ للتحالف مع بعض القبائل ريثما تقضي على الاضطرابات ويستتب الأمن، كتلك التحالفات التي سجلت مع قبيلة البقواط بموريطانيا الطنجية ، وحتى لاحقاً مع الغرامنت.

[43] - *Trousset* (P.), **sur la *frontière saharienne* de l'Empire romain**, *Archéologia* n° 84 - Juillet 1975, p 208 ; Id, ***Les oasis présahariennes* dans l'Antiquité. Partage de l'eau et division du temps, Antiquités Africaines**, 22, 1986, p. 163-193 ; Euzennat (M), **L'*olivier et le limes.* Considérations sur la frontière romaine de Tripolitaine.** BCTHS, n .s 19B ,1980,p 168

عززت هذه التحصينات العسكرية وغيرها، بمجموعة من الطرق الاستراتيجية التي تجوبها القبائل، سهلت تحركات الفرق العسكرية، وساهمت في تطويق مناطق انتشار القبائل، وقللت فترة الوصول لتلك الساكنة بالصحراء، كالغرامنت والفزانيين وغيرها، ومن أهم تلك الطرق طريقين أنجزا في عهد تبيريوس، أحدهما يربط بين لبدة و بعد توغله بالمناطق الداخلية يصل الى ترهونة ([44])، فضلاً عن طريقين آخرين هامين للغرامنت، تعودوا التنقل عبرهما، تم انجازهما لاحقاً، يربط الأول قابس بطرابلس وسبراطة، مروراً بغدامس، ويربط الثاني لبدة بجرمة مروراً ببونجم.

ونتساءل عن فترة القرن الثالث الميلادي، وبعد بناء قلعة غدامس، وحص قصر الدويب 244 - 246 م، هل فعلاً استطاعت روما فرض الأمن في المنطقة، وضمان مصالحها؟ وهل تمكنت من فرض الحصار على الغرامنت وقبائل الفزان؟ أم أنها لجأت للديبلوماسية لضمان استكانتها، وعدم التعدي على مستوطناتها بالسيرت.

صحيح أن العلاقات الغرامنتية الرومانية يشوبها الغموض في الفترة مابين القرن الثالث والخامس الميلادي، لكن ذلك لا ينفي قوة الغرامنت واحتمالية تمكنها من التخلص من رغبة الرومان السيطرة عليها، ولولا ذلك لما لجأت روما لتوقيع اتفاقية سلام معها سنة 569 م ، بعد اعتناق الغرامنت المسيحية ([45])، مما يدل على أن الغرامنت ظلت لغاية هذه الفترة من اهم القبائل المناوئة للرومان، وانه برغم العلاقات التجارية بينهما الا أن الغرامنت لم يستكينوا ولم يتم اخضاعهم، حتى وان فرضت عليهم الضرائب خلال فترة أوغسطس، وحتى قضية الضريبة المفروضة، لا نعرف بالضبط متى توقفوا عن دفعها لروما.

[44] - Chevallier (R), **Les Voies romaines**,Paris, Armand Colin, 1972, p 167 - 169

[45] - Jean de Biclar,a .569, dans Monumenta Germaniae Historica auctores antiquissimi,T .XI,p212

* الخاتمة :

لعل ما أضعف نتائج السياسة الرومانية، أنها عملت على تغيير النمط المعيشي وضرب البنية الاقتصادية وتمزيق التركيبة الاجتماعية للقبائل الرحل وأشباه الرحل، إضافة لمحاولة إبادة القبائل الخطيرة والمناوئة لها على الدوام أو تشتيت فروعها، وتشكيل أخرى مطيعة بدمجها في الحضارة الرومانية أو بتجزئة القوية والكثيرة العدد معتمدة سياسة فرق تسد، مما أدى بهده القبائل لرفض النظام الروماني والتكتل بعد دحرها جنوب الليمس، وتشكيل قوة ضغط خطيرة دفعت بالسلطات الرومانية لتدعيم تحصيناتها العسكرية خاصة بالناحية الجنوبية الغربية.

لا يمكن اعتبار ثورات الغرامنت ومواجهتها للجيش الروماني دائماً بمثابة الحركات التحررية، وانما هي أحياناً دفاعاً عن النفس ضد الحملات الهجومية من طرف القادة الرومان، ودفاعاً عن مصالحها الاقتصادية، وثرواتها وعلاقاتها التجارية التي حاول الرومان ضربها بفرض الحدود ومراقبة القبائل الواقعة دخل الليمس وخارجه، ولذلك لا نستبعد أنه كان للغرامنت دوراً كبيراً في تقليص سلطة الرومان بالصحراء، خاصة بعد ضعف السلطة الرومانية مع نهاية القرن الثالث الميلادي وبداية الرابع الميلادي.

هذا ولا يمكن استخلاص تأثير السياسة الرومانية في القبائل وفشلها، إلا خلال القرن الرابع والخامس الميلادي حين ينتفض أفراد القبائل ضد الوضعية الاقتصادية والاجتماعية المزرية، ويرفضون رغبة الرومان في السيطرة على تجارتهم وقوافلهم، ومن بين هذه القبائل الغرامنت الذين فضلوا الرقي بمملكتهم حضارياً، والعمل ليس بالزراعة فحسب بل وكرعاة أحرار ينتقلون بقطعانهم بين أرجاء السهوب والصحراء محاولين العودة لأراضيهم التي ألفوا الانتجاع بها واسترجاعها ولو بالقوة ، مع تحكيم قبضتهم على تجارة القوافل والسيطرة على طرق الصحراء.

والغرامنت واحدة من القبائل التي ظلت حضارتها قائمة ومراكزها العمرانية شاهدة على رقيها وازدهار اقتصادها حتى القرن العاشر الميلادي، وهي ليست مجرد قبيلة قوية العدة وكثيرة العدد، يتقن رجالها ركوب العربات والخيل، ونظامهم ملكي ومتمكنين من أسرار الزراعة مثلما أشارت لذلك المصادر، بل يتضح جلياً من خلال اختلاف المصادر خلال مختلف الفترات التاريخية، في ضبط موقعها الجغرافي أنها كونفدرالية قبلية، متعددة الفروع المنتشرة هنا وهناك وهو ما يفسر تعدد مراكزها الحضارية وامتدادها الجغرافي.

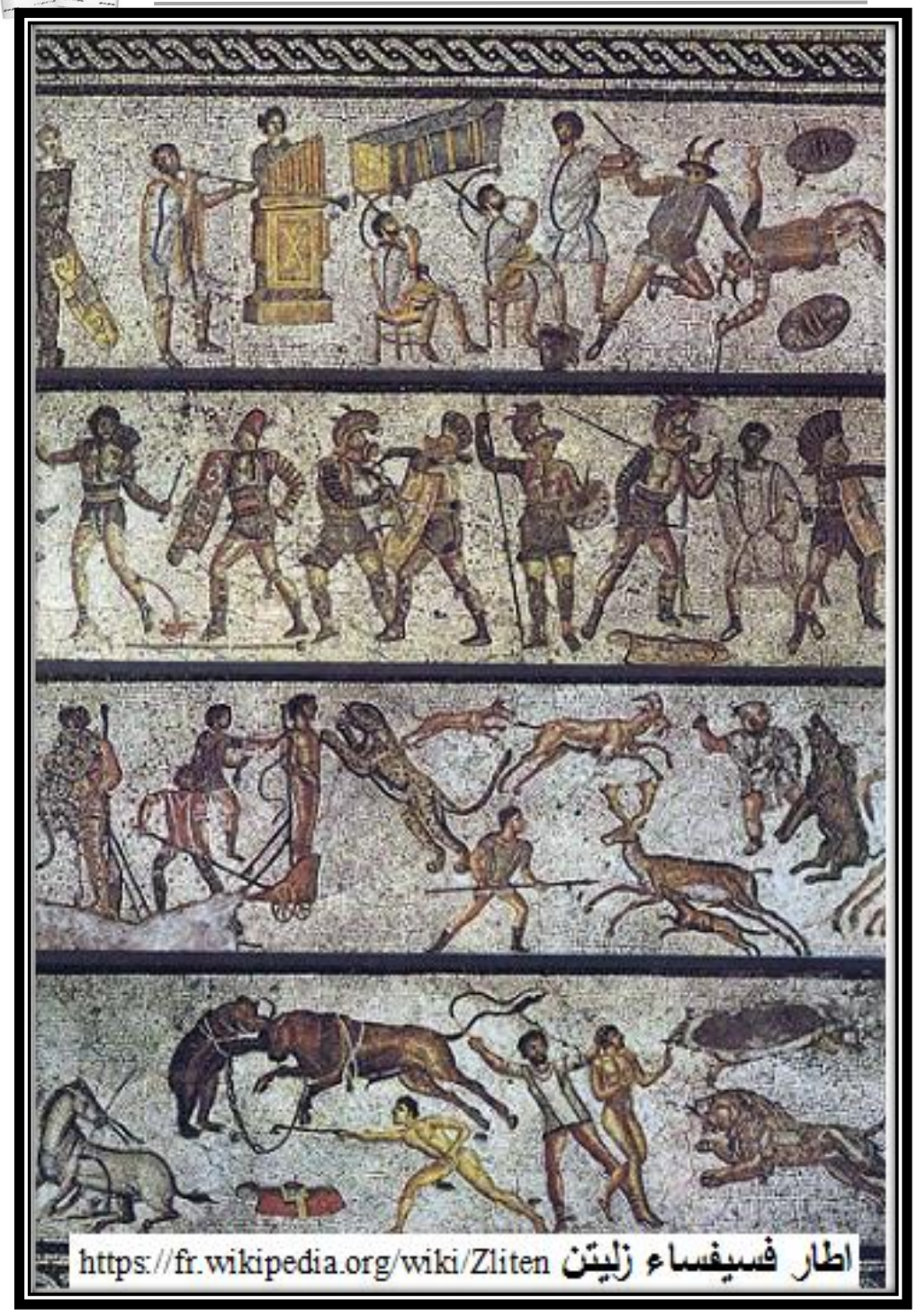

اطار فسيفساء زليتن https://fr.wikipedia.org/wiki/Zliten

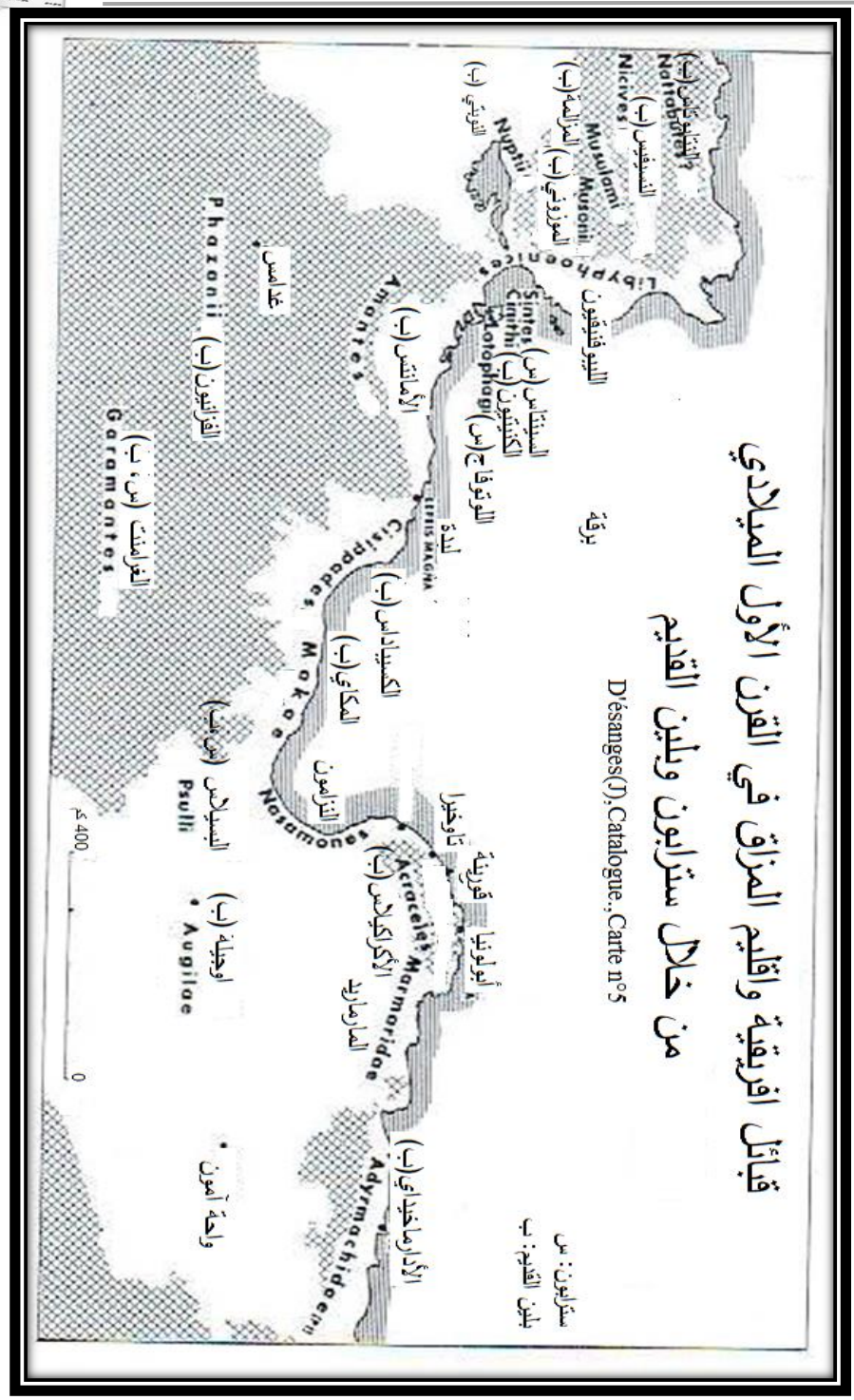
قبائل افريقية واقليم المزاق في القرن الأول الميلادي
من خلال سترابون وبلين القديم
D'ésanges(J).Catalogue..Carte n°5
سترابون: س
بلين القديم: ب
برقة
Nicives (ب) النسيفيس
Musulami Musonii المزولمي (ب) المزالمة (ب)
Nypsii النوبي (ب)
Sinteii (س) السينتاس
Cinithii (ب) الكنيثيون
Lotophagi (س) اللوتوفاج
Autoles الأماتس (ب)
Cisipadees الكسيباداس (ب)
Makae المكاي (ب)
Nasamones النازامون
Acrocelaei Mamoridae الأكراكيلاس (ب) المارماريد
Adyrmachidae الأدارماخيداي (ب)
لبدة
أبولونيا
قورينة
تاوخيرا
واحة آمون
أوجيلة (ب)
Augilae
البسيلس (ب)
Psylli
غدامس
الفازانيون (ب)
Phazanii
الغرامنت (س، ب)
Garamantes
0
400 كم

المصادر والمراجع المعتمدة:

1 – المصادر:

Ammien Marcellin, Histoire, Texte établi pa Savalète (TH), Paris, 1849

Corippus , **La Johannide** , texte établi et traduit par M.Petschenig , Berlin, 1886

Jean de Biclar dans Th. Mommsen, **Monumenta Germaniae Historica auctores antiquissimi**,T .XI, Bertin, 1894

Hérodote, **Histoires**, Livre IV, trad., PH. E. Le grand, éd., Les belles Lettres, Paris, 1949

Orose, *Adversus Paganos,Livre I-III,* Arnaud-Lindet, Marie-Pierre, les Belles lettres, 2003

Pline l'Ancien, **Histoire Naturelle**, Collection des auteurs latins, éd., et trad., M.E. Littré. Paris, éd., Dubochet et Le Chevalier 1848

Pomponius Méla, **Géographie in Œuvres complètes**, trad., sous la direction de M. Nisard, éd., J.Dubochet , Le Chevalier et Cle , Paris , 1850

Ptolémée, **Géographie**, trad., M. l'abbé Halma, Paris, 1824

Sidoine Apollinaire, Tome I : Poèmes, Paris, Les Belles Lettres, 1961

Silius Italicus, **Guerres Puniques**, Texte établi et traduit par M. Kermoysan, Paris, éd., Dubochet et Compagnie, 1837

Strabon , **Géographie** , texte établi et traduit par A.Tardien , 2ème édition , Paris , éd., Hachette , 1886

Tacite, **Annales**, texte établi et traduit par H. Goelzer, Paris, Les belles lettres, 1945

Tite-Live, **Histoire romaine**, texte établi et traduit par E. Lassère, éd., Garnier, Paris, 1928

Wilmanns(G), Mommsen (Th), **Corpus Inscriptionum latinarum** , VIII .Berlin,1881(= CIL VIII)

2 - المراجع العربية :

محمد سليمان أيوب، **جرمة، من تاريخ الحضارة الليبية**، دار المصراتي، طرابلس، 1969

مصطفى علي محمد نامو، **دراسة أثرية لفسيفساء أرضيات بعض الدارات في منطقة المدن** الثلاث، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009

3 - المراجع الأجنبية:

Bénabou (M) , **La Résistance Africaine à la romanisation**, 2d., Maspero , Paris , 1976

Cagnat (R), **L'Armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs,I**,Paris,1912

Chevallier (R), **Les Voies romaines**, Paris, Armand Colin, 1972

Chepelle (J), **Nomades noirs du Sahara**, Paris,1959

Desanges (J), **Catalogue des tribus Africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil**, Publications de la section d'histoire n°4, Dakar, 1962

Désanges (J), **Le Triomphe de Cornelius Balbus (9 av. j-c)**, R. Afr, CI, 1957, pp 5-44

Gsell (S), **Hérodote, textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord**, éd., Typographie Adolphe Jourdan, Alger,1915

Lefranc (J-PH), « **La Géologie, Pline l'Ancien et l'itinéraire de Cornelius Balbus (20 av. J.-C.) Nouvelles identifications**", Histoire et Archéologie de l'Afrique du Nord, IIIe congrès internationl, CTHS, Montpellier, 1985, (Paris, 1986) p p. 303-316

Euzennat (M), **L *'olivier et le limes.* Considérations sur la frontière romaine de Tripolitaine**. BCTHS, ns 19B ,1980, p 168

Leschi (L), **Inscriptions latines de Lambèse et de Zana**, Libyca, I, 1953

Le Bohec (Y), **La Troisième Légion Auguste**, Paris, CNRS,1989

Mattingly (D), **Nouveaux aperçus sur les Garamantes : un Etat saharien ?**, Ant.Afr,37,2001

Mattingly(D .J),**Tripolitania**, éd., Routledge, 2003 Monod (Th), **Le mythe de « l'émeraude des Garamantes »** , Ant.Afr, 8,1974,pp 51- 66

Parrish (D), **The date of the mosaics from Zliten,** Ant. Afr, 1985, 21, pp 137-158

Ripoll **(F)**, **L'Image de l'Afrique chez Lucain et Silius Italicus,** in Vita Latina , n°159 , 2000 , pp 2-17

Rachet (M), pp 84-90; Gonzales(A**), La révolte comme acte de brigandage Tacite et la révolte de Tacfarinas,** L'Africa Romana, XII (Olbia, 12-15 décembre), Sardegna,1

Trousset (P), **Recherches sur le Limes tripolitanus du chott El-Djerid à la frontière Tuniso-Libyenne**, Paris, CNRS, 1974

Trousset (P), **sur la *frontière saharienne* de l'Empire romain,** *Archéologia* n° 84 - Juillet 1975

Trousset (P), ***Les oasis présahariennes* dans l'Antiquité. Partage de l'eau et division du temps,** Antiquités Africaines, 22, 1986, p. 163-193

Ville (G), **Essai de datation de la mosaïque des gladiateurs de Zliten»**, in La Mosaïque Gréco-Romaine, Paris, 1965

4 - المواقع الالكترونية:

http://encyclopedieberbere.revues.org/1933/ : Gir in Camps (G), (dir.), 20 | Gauda – Girrei, Aix-en-Provence, Edisud (« Volumes », no 20), 1998 [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 02 février 2017.

https://fr.wikipedia.org/wiki/Zliten